مَوْقِعُ جَامِعَةِ مِنْهَاجِ النُّبُوَّةِ

www.menhag-un.com

يُقَدِّمُ:

(الْمُحَاضَرَة التَّاسِعَة)

مِنْ مَادَّةِ التَّفْسِيرِ

تفسِير

[سُورَتَي: الْبَلَدِ، وَالشَّمْسِ]

www.menhag-un.com

منهاج النبوة
www.menhag-un.com

بَيْنَ يَدَيِ سُورَةِ الْبَلَدِ

* هَذِهِ السُّورَةُ الْكَرِيمَةُ مَكِّيَّةٌ، وَأَهْدَافُهَا نَفْسُ أَهْدَافِ السُّوَرِ الْمَكِّيَّةِ، مِنْ تَثْبِيتِ الْعَقِيدَةِ وَالْإِيمَانِ، وَالتَّرْكِيزِ عَلَىٰ الْإِيمَانِ بِيَوْمِ الْحِسَابِ وَالْجَزَاءِ، وَالتَّمْيِيزِ بَيْنَ الْأَبْرَارِ وَالْفُجَّارِ، وَطَرِيقِ النَّجَاةِ مِنْ عَذَابِ النَّارِ.

* ابْتَدَأَتِ السُّورَةُ الْكَرِيمَةُ بِالْقَسَمِ بِالْبَلَدِ الْحَرَامِ، الَّذِي هُوَ سَكَنُ النَّبِيِّ ﷺ، تَعْظِيمًا لِشَأْنِهِ وَتَكْرِيمًا لِمَقَامِهِ الرَّفِيعِ عِنْدَ رَبِّهِ، وَلَفْتًا لِأَنْظَارِ الْكُفَّارِ إِلَىٰ أَنَّ إِيذَاءَ الرَّسُولِ فِي الْبَلَدِ الْأَمِينِ، مِنْ أَكْبَرِ الْكَبَائِرِ عِنْدَ اللهِ تَعَالَىٰ ﴿لَآ أُقۡسِمُ بِهَٰذَا ٱلۡبَلَدِ ۝١ وَأَنتَ حِلُّۢ بِهَٰذَا ٱلۡبَلَدِ ۝٢ وَوَالِدٖ وَمَا وَلَدَ﴾ الْآيَاتِ.

* ثُمَّ تَحَدَّثَتْ عَنْ بَعْضِ كُفَّارِ مَكَّةَ، الَّذِينَ اغْتَرُّوا بِقُوَّتِهِمْ، فَعَانَدُوا الْحَقَّ، وَكَذَّبُوا رَسُولَ اللهِ وَأَنْفَقُوا أَمْوَالَهُمْ فِي الْمُبَاهَاةِ وَالْمُفَاخَرَةِ، ظَنًّا مِنْهُمْ أَنَّ إِنْفَاقَ الْأَمْوَالِ فِي حَرْبِ الْإِسْلَامِ يَدْفَعُ عَنْهُمْ عَذَابَ اللهِ، وَقَدْ رَدَّتْ عَلَيْهِمُ الْآيَاتُ بِالْحُجَّةِ الْقَاطِعَةِ وَالْبُرْهَانِ السَّاطِعِ. ﴿أَيَحۡسَبُ أَن لَّن يَقۡدِرَ عَلَيۡهِ أَحَدٞ ۝٥ يَقُولُ أَهۡلَكۡتُ مَالٗا لُّبَدًا..﴾ الْآيَاتِ.

* ثُمَّ تَنَاوَلَتْ أَهْوَالَ الْقِيَامَةِ وَشَدَائِدَهَا، وَمَا يَكُونُ بَيْنَ يَدَيِ الْإِنْسَانِ فِي الْآخِرَةِ، مِنْ مَصَاعِبَ وَمَتَاعِبَ وَعَقَبَاتٍ، لَا يَسْتَطِيعُ أَنْ يَقْطَعَهَا وَيَجْتَازَهَا إِلَّا

بِالْإِيمَانِ، وَالْعَمَلِ الصَّالِحِ. ﴿فَلَا ٱقْتَحَمَ ٱلْعَقَبَةَ ﴿١١﴾ وَمَآ أَدْرَىٰكَ مَا ٱلْعَقَبَةُ ﴿١٢﴾ فَكُّ رَقَبَةٍ ﴿١٣﴾ أَوْ إِطْعَٰمٌ فِي يَوْمٍ ذِي مَسْغَبَةٍ..﴾ الْآيَاتِ.

* وَخُتِمَتِ السُّورَةُ الْكَرِيمَةُ بِالتَّفْرِيقِ بَيْنَ الْمُؤْمِنِينَ وَالْكُفَّارِ، فِي ذَلِكَ الْيَوْمِ الْعَصِيبِ، وَبَيَّنَتْ مَآلَ السُّعَدَاءِ، وَمَآلَ الْأَشْقِيَاءِ، فِي دَارِ الْخُلْدِ وَالْكَرَامَةِ ﴿ثُمَّ كَانَ مِنَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَتَوَاصَوْا۟ بِٱلصَّبْرِ وَتَوَاصَوْا۟ بِٱلْمَرْحَمَةِ ﴿١٧﴾ أُو۟لَٰٓئِكَ أَصْحَٰبُ ٱلْمَيْمَنَةِ..﴾ الْآيَاتِ إِلَىٰ نِهَايَةِ السُّورَةِ الْكَرِيمَةِ.

جامعة منهاج النبوة
www.menhag-un.com

سُورَةُ الْبَلَدِ

مَكِّيَّةٌ، وَآيَاتُهَا عِشْرُونَ آيَةً

الآيات من: ١ إلى: ٧

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

﴿لَآ أُقْسِمُ بِهَٰذَا ٱلْبَلَدِ ﴿١﴾ وَأَنتَ حِلٌّۢ بِهَٰذَا ٱلْبَلَدِ ﴿٢﴾ وَوَالِدٍ وَمَا وَلَدَ ﴿٣﴾ لَقَدْ خَلَقْنَا ٱلْإِنسَٰنَ فِى كَبَدٍ ﴿٤﴾ أَيَحْسَبُ أَن لَّن يَقْدِرَ عَلَيْهِ أَحَدٌ ﴿٥﴾ يَقُولُ أَهْلَكْتُ مَالًا لُّبَدًا ﴿٦﴾ أَيَحْسَبُ أَن لَّمْ يَرَهُۥٓ أَحَدٌ﴾.

www.menhag-un.com

تَفْسِيرُ الْآيَاتِ(١):

فَيَقُولُ تَعَالَىٰ فِي «سُورَةِ البَلَدِ»: ﴿لَآ أُقۡسِمُ بِهَٰذَا ٱلۡبَلَدِ﴾: ﴿لَآ أُقۡسِمُ﴾: يَعْنِي: أُقْسِمُ، ﴿بِهَٰذَا ٱلۡبَلَدِ﴾: يَعْنِي: مَكَّةَ الْبَلَدَ الحَرَامَ.

﴿لَآ أُقۡسِمُ بِهَٰذَا ٱلۡبَلَدِ ١ وَأَنتَ حِلُّۢ﴾: أَيْ: وَأَنْتَ حَلَالٌ، ﴿بِهَٰذَا ٱلۡبَلَدِ﴾.

أَيْ: أُقْسِمُ بِالْبَلَدِ الحَرَامِ الَّذِي أَنْتَ حِلٌّ فِيهِ، اِسْتَحَلَّ مِنْكَ مُشْرِكُو مَكَّةَ أَنْ يُؤْذُوكَ بِالْبَلَدِ الحَرَامِ يَا مُحَمَّدُ(٢).

أَوْ وَأَنْتَ حَلَالٌ بِهَذَا الْبَلَدِ، تَصْنَعُ فِيهِ مَا تُرِيدُ مِنَ الْقَتْلِ، وَالْأَسْرِ لَيْسَ عَلَيْكَ مَا عَلَىٰ النَّاسِ فِيهِ مِنَ الْإِثْمِ وَلَا الْعَذَابِ، أَحَلَّهُ لَكَ اللهُ يَوْمَ الْفَتْحِ(٣).

﴿وَوَالِدٖ وَمَا وَلَدَ﴾: أَيْ: أُقْسِمُ بِهَذَا الْبَلَدِ، ﴿وَوَالِدٖ وَمَا وَلَدَ﴾: أَيْ: وَمَا نَسَلَ(٤).

---

(١) «تفسير البغوي» (٨/ ٤٢٦ - ٤٣١)، و«فتح القدير» (٥/ ٥٣٨).

(٢) قوله شُرَحْبِيل بن سعد، عزاه السيوطي في «الدر» (٨/ ٥١٨) لسعيد بن منصور، وابن المنذر.

(٣) أخرج الطبري في «تفسيره» (٢٤/ ٤٣٠)، والحاكم في «المستدرك» (٢/ ٥٢٣، رقم ٣٩٣١)، بإسناد صحيح، عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ، فِي قَوْلِهِ: ﴿وَأَنتَ حِلُّۢ بِهَٰذَا ٱلۡبَلَدِ﴾، قَالَ: «**أَحَلَّ لَهُ أَنْ يَصْنَعَ فِيهِ مَا شَاءَ**»، وهو قول مجاهد.

(٤) أخرج الطبري في «تفسيره» (٢٤/ ٤٣١ - ٤٣٢)، بإسناد لا بأس به، عَنْ عِكْرِمَةَ، عَنِ

وَقِيلَ: هُوَ آدَمَ عليه السلام وَذُرِّيَّتُهُ(١).

﴿لَقَدْ خَلَقْنَا ٱلْإِنسَٰنَ فِى كَبَدٍ﴾: ﴿فِى كَبَدٍ﴾: فِي نَصَبٍ وَشِدَّةٍ، يُكَابِدُ مَصَائِبَ الدُّنْيَا، وَشَدَائِدَ الْآخِرَةِ(٢).

=

ابْنِ عَبَّاسٍ، ﴿وَوَالِدٍ وَمَا وَلَدَ﴾، قَالَ: «**الْوَالِدُ: الَّذِي يَلِدُ، وَمَا وَلَدَ: الْعَاقِرُ الَّذِي لَا يُولَدُ لَهُ**»، وعزاه السيوطي في «الدر» (٨/ ٥١٩) للفريابي، وعبد بن حميد، وابن المنذر، وابن أبي حاتم، وهو قول عكرمة أيضا، واختاره ابن جرير الطبري، وقال: «لِأَنَّ اللهَ عَمَّ كُلَّ وَالِدٍ وَمَا وَلَدَ، وَغَيْرُ جَائِزٍ أَنْ يَخُصَّ ذَلِكَ إِلَّا بِحُجَّةٍ يَجِبُ التَّسْلِيمُ لَهَا مِنْ خَبَرٍ أَوْ عَقْلٍ، وَلَا خَبَرَ بِخُصُوصِ ذَلِكَ، وَلَا بُرْهَانَ يَجِبُ التَّسْلِيمُ لَهُ بِخُصُوصِهِ، فَهُوَ عَلَىٰ عُمُومِهِ كَمَا عَمَّهُ».

(١) أخرجه عبد الرحمن بن الحسن الهمداني في «تفسير مجاهد» (ص٧٢٩)، والطبري في «تفسيره» (٢٤/ ٤٣٢)، والفريابي كما في «تغليق التعليق» لابن حجر (٤/ ٣٦٨)، من طرق: عَنِ ابْنِ أَبِي نَجِيحٍ، عَنْ مُجَاهِدٍ، ﴿وَوَالِدٍ وَمَا وَلَدَ﴾، قَالَ: «**الْوَالِدُ: آدَمُ، وَمَا وَلَدَ: وَلَدُهُ**»، وهو صحيح عنه، وذكره البخاري معلقا في «صحيحه» في (التفسير، سورة ٩٠)، وعزاه السيوطي في «الدر» (٨/ ٥١٩) لعبد بن حميد، وابن المنذر، وابن أبي حاتم.

وقد أغرب الحاكم فأخرجه في «المستدرك» (٢/ ٥٢٣، رقم ٣٩٣٢): عن عبدالرحمن بن الحسن الهمداني، بإسناده، عَنِ ابْنِ أَبِي نَجِيحٍ، عَنْ مُجَاهِدٍ، عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ، قوله، وروي من طريق آخر عن ابن عباس مثله، ولا يصح.

وهذا القول هو أيضا قول قتادة، والحسن، وسعيد بن جبير، وأبو صالح، وخُصيف، وَشُرَحْبِيلُ بْنُ سَعْدٍ، والضحاك، والثوري، والسدي، والفراء، وابن قتيبة، وغيرهم.

(٢) أخرج الطبري في «تفسيره» (٢٤/ ٤٣٣ - ٤٣٤)، والحاكم في «المستدرك» (٢/

=

«فَأَقْسَمَ اللهُ سُبْحَانَهُ بِهَذَا الْبَلَدِ الحَرَامِ وَهُوَ مَكَّةُ، وَأَنْتَ يَا مُحَمَّدُ مُقِيمٌ فِي هَذَا الْبَلَدِ الحَرَامِ، وَأَقْسَمَ بِوَالِدِ الْبَشَرِيَّةِ آدَمَ عليه السلام، وَمَا تَنَاسَلَ مِنْهُ مِنْ وَلَدٍ، لَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ فِي شِدَّةٍ، وَعَذَابٍ مِنْ مُكَابَدَةِ الدُّنْيَا، وَشَدَائِدِهَا، وَمَصَائِبِهَا»(١).

﴿أَيَحْسَبُ أَن لَّن يَقْدِرَ عَلَيْهِ أَحَدٌ﴾: فَيَظُنُّ مِنْ شِدَّتِهِ أَنْ لَنْ يَقْدِرَ عَلَيهِ اللهُ تعالَىٰ.

﴿يَقُولُ أَهْلَكْتُ مَالًا لُّبَدًا﴾: يَقُولُ أَنْفَقْتُ مَالًا كَثِيرًا بَعْضُهُ فَوْقَ بَعْضٍ مِنَ التَّلْبِيدِ(٢)، وَكُلُّ ذَلِكَ أُنْفِقَ فِي عَدَاوَةِ مُحَمَّدٍ صلى الله عليه وآله وسلم(٣).

=

٥٢٣، رقم ٣٩٣٣)، والضياء في «المختارة» (١١/ رقم ٢٥٣)، وابن حجر في «تغليق التعليق» (٤/ ٣)، بإسناد صحيح، عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ، قَوْلُهُ: ﴿فِي كَبَدٍ﴾، يَقُولُ: «فِي نَصَبٍ»، وفي رواية: «فِي شِدَّةٍ»، وعزاه السيوطي في «الدر» (٨/ ٥١٩) للفريابي، وَعبد بن حميد، وَابْن الْمُنْذر، وَابْن أبي حَاتِم.

وهو قول مجاهد، وعكرمة، وقتادة، وسعيد بن جبير، والحسن، وابن قتيبة، واختاره ابن جرير الطبري.

(١) «التفسير الميسر» (ص٥٩٤).

(٢) (التلبيد): كل شيء لصق وجمع بعضه فوق بعض حتىٰ يكون طبقة كثيفة ثخينة، فهي كلمة يراد بها: الكثرة والاجتماع، ومنه قوله تعالىٰ: ﴿يَكُونُونَ عَلَيْهِ لِبَدًا﴾ [الجن: ١٩]، أَي: مُجْتَمِعِينَ بَعْضُهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ، انظر: «الصحاح» (٢/ ٥٣٣ - ٥٣٤)، و«مقاييس اللغة» (٥/ ٢٢٨ - ٢٢٩)، و«لسان العرب» (٣/ ٣٨٥ - ٣٨٨) مادة: (لبد).

(٣) أخرج عبد الله بن وهب في «الجامع - تفسيره» (رقم ٤٣)، وعبد الرحمن بن الحسن الهمداني في «تفسيره» (ص٧٢٩)، والطبري في «تفسيره» (٢٤/ ٤٣٦)، والفريابي كما

=

﴿أَيَحْسَبُ أَن لَّمْ يَرَهُۥٓ أَحَدٌ﴾: أَيَظُنُّ أَنَّ اللهَ تعالىٰ لَمْ يَرَهُ، وَأَنَّ اللهَ تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ لَنْ يَسْأَلَهُ عَنْ مَالِهِ: مِنْ أَيْنَ اِكْتَسَبَهُ؟ وَفِيمَا أَنْفَقَهُ؟

«أَيَظُنُّ بِمَا جَمَعَهُ مِنْ مَالٍ أَنَّ اللهَ لَنْ يَقْدِرَ عَلَيهِ؟! يَقُولُ مُتَبَاهِيًا: أَنْفَقْتُ مَالًا كَثِيرًا، أَيَظُنُّ فِي فِعْلِهِ هَذَا أَنَّ اللهَ تَعَالَىٰ لَا يَرَاهُ، وَأَنَّهُ لَا يُحَاسِبُهُ سُبْحَانَهُ عَلَىٰ الصَّغِيرِ وَالْكَبِيرِ؟!!»(١).

❁ ❁ ❁

=

في «تغليق التعليق» (٤/ ٣٦٨)، بإسناد صحيح، عَنْ مُجَاهِدٍ، فِي قَوْلِهِ: ﴿أَهْلَكْتُ مَالًا لُّبَدًا﴾، قَالَ: «مَالًا كَثِيرًا»، وذكره البخاري معلقا في «صحيحه» في (التفسير، سورة ٩٠)، وعزاه السيوطي في «الدر» (٨/ ٥١٩) لعبد بن حميد، وابن المنذر، وابن أبي حاتم.

وهو قول قتادة، والضحاك، وابن زيد، والفراء.

(١) «التفسير الميسر» (ص٥٩٤).

المَعْنَى الإِجْمَالِيُّ:

أَقْسَمَ سُبْحَانَهُ بِأَحَبِّ الْبِلَادِ إِلَيْهِ، وَهِيَ مَكَّةُ؛ لِحُرْمَتِهَا، وَعِظَمِ قَدْرِهَا عِنْدَهُ، وَوَعَدَ نَبِيَّهُ ﷺ أَنْ يُحِلَّهَا لَهُ؛ حَتَّىٰ يُقَاتِلَ فِيهَا، وَقَدْ أَحَلَّهَا سُبْحَانَهُ لِرَسُولِهِ ﷺ يَوْمَ الْفَتْحِ قَاتَلَ فِيهَا، وَقَتَلَ، ثُمَّ قَالَ: «**إِنَّ اللهَ حَرَّمَ مَكَّةَ يَوْمَ خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ، وَ لَمْ تَحِلَّ لِأَحَدٍ قَبْلِي، وَلَا تَحِلُّ لِأَحَدٍ بَعْدِي، وَإِنَّمَا أُحِلَّتْ لِي سَاعَةً مِنْ نَهَارٍ، فَهِيَ حَرَامٌ بِحُرْمَةِ اللهِ إِلَىٰ يَوْمِ الْقِيَامَةِ**». وَالحَدِيثُ مُتَّفَقٌ عَلَىٰ صِحَّتِهِ(١).

ثُمَّ أَقْسَمَ سُبْحَانَهُ بِالْوَالِدِ -وَهُوَ آدَمُ أَبُو الْبَشَرِ-، وَمَا وَلَدَ وَهُمْ ذُرِّيَّتُهُ، أَقْسَمَ بِهِمْ سُبْحَانَهُ؛ لِأَنَّ فِيهِمُ الْأَنْبِيَاءَ وَالصَّالِحِينَ وَالدُّعَاةَ إِلَىٰ اللهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ.

وَللهِ أَنْ يُقْسِمَ بِمَا شَاءَ مِنْ مَخْلُوقَاتِهِ، أَمَّا المَخْلُوقُ فَلَا يَجُوزُ لَهُ أَنْ يُقْسِمَ بِغَيرِ اللهِ، وَجَوَابُ الْقَسَمِ: ﴿لَقَدْ خَلَقْنَا ٱلْإِنسَٰنَ فِى كَبَدٍ﴾.

---

(١) أخرجه البخاري في «صحيحه» في (كتاب جزء الصيد، باب ١٠، رقم ١٨٣٤) ومواضع، ومسلم في «صحيحه» في (كتاب الحج، باب ٨٢: ١، رقم ١٣٥٣)، من حديث: ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا، بلفظ: «**إِنَّ هَذَا الْبَلَدَ حَرَّمَهُ اللهُ يَوْمَ خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ، فَهُوَ حَرَامٌ بِحُرْمَةِ اللهِ إِلَىٰ يَوْمِ الْقِيَامَةِ، وَإِنَّهُ لَمْ يَحِلَّ الْقِتَالُ فِيهِ لِأَحَدٍ قَبْلِي، وَلَمْ يَحِلَّ لِي إِلَّا سَاعَةً مِنْ نَهَارٍ، فَهُوَ حَرَامٌ بِحُرْمَةِ اللهِ إِلَىٰ يَوْمِ الْقِيَامَةِ**،...» الحديث، ورواه أيضا أبو هريرة رَضِيَ اللهُ عَنْهُ بنحوه في «الصحيحين».

وَمَعْنَىٰ الْآيَةِ: لَقَدْ خَلَقَ اللهُ ابْنَ آدَمَ فِي شِدَّةٍ، وَعَنَاءٍ يُكَابِدُ شَدَائِدَ الدُّنْيَا وَيُقَاسِي شَدَائِدَ الْآخِرَةِ بَعْدَ ذَلِكَ.

ثُمَّ أَخَذَ سُبْحَانَهُ يَذْكُرُ غُرُورَ الإِنْسَانِ بِمَا أُوتِيَ مِنْ نِعَمِ اللهِ عَلَيهِ، وَيَقُولُ: إِنَّنِي لَا يَقْدِرُ أَحَدٌ مَهْمَا أُوتِيَ مِنْ قُوَّةٍ لَا يَقْدِرُ عَلَىٰ قَهْرِي، أَيَظُنُّ أَنَّ اللهَ لَا يَقْدِرُ عَلَىٰ بَعْثِهِ وَمُعَاقَبَتِهِ؟!

يَقُولُ: لَقَدْ أَنْفَقْتُ مَالًا كَثِيرًا فَمَنْ يُحَاسِبُنِي بِهِ، أَيَظُنُّ أَنَّ اللهَ لَا يَرَاهُ فَيَعْلَمُ مِقْدَارَ نَفَقَتِهِ؟!

جامعة منهاج النبوة
www.menhag-un.com

مَا يُسْتَفَادُ مِنَ الآيَاتِ(١):

١- فِي الْآيَاتِ: بَيَانُ شَرَفِ مَكَّةَ، وَعِظَمِ قَدْرِهَا، وَعُلُوِّ شَأْنِ الرَّسُولِ ﷺ وَسُمُوِّ مَقَامِهِ، وَهُوَ فِيهَا ﷺ قَدْ أَحَلَّهَا اللهُ لَهُ، وَلَم تَحِلَّ لِأَحَدٍ سِوَاهُ.

٢- وَفِي الْآيَاتِ: بَيَانُ شَرَفِ آدَمَ، وَذُرِّيَّتِهِ الصَّالِحِينَ مِنْهُمْ.

٣- وَفِيهَا: أَنَّ الْقِتَالَ بِمَكَّةَ حَرَامٌ، وَقَدْ أَحَلَّهُ تَعَالَىٰ لِنَبِيِّهِ ﷺ سَاعَةً مِنْ نَهَارٍ.

٤- وَفِي الْآيَاتِ: بَيَانُ مَا يُعَانِيهِ الْإِنْسَانُ مِنَ الشَّدَائِدِ، وَبَيَانُ حَقِيقَةِ أَنَّ الْإِنْسَانَ لَا يَبْرَحُ يُعَانِي مِنْ تَعَبِ الحَيَاةِ حَتَّىٰ المَمَاتِ.

٥- وَفِي الْآيَاتِ: التَّحْذِيرُ مِنَ الاغْتِرَارِ بِنِعَمِ اللهِ تَعَالَىٰ.

٦- وَفِيهَا: وَعِيدٌ لِمَنْ أَفْرَطَ فِي الْإِنْفَاقِ عَلَىٰ شَهَوَاتِهِ، وَظَنَّ أَنْ لَا رَقِيبَ عَلَيهِ.

منهاج النبوة
www.menhag-un.com

(١) «أيسر التفاسير» (٥/ ٥٧٣).

الآيات من: ٨ إلى: (٢٠) نهاية السورة

﴿أَلَمْ نَجْعَل لَّهُۥ عَيْنَيْنِ ﴿٨﴾ وَلِسَانًا وَشَفَتَيْنِ ﴿٩﴾ وَهَدَيْنَٰهُ ٱلنَّجْدَيْنِ ﴿١٠﴾ فَلَا ٱقْتَحَمَ ٱلْعَقَبَةَ ﴿١١﴾ وَمَآ أَدْرَىٰكَ مَا ٱلْعَقَبَةُ ﴿١٢﴾ فَكُّ رَقَبَةٍ ﴿١٣﴾ أَوْ إِطْعَٰمٌ فِى يَوْمٍ ذِى مَسْغَبَةٍ ﴿١٤﴾ يَتِيمًا ذَا مَقْرَبَةٍ ﴿١٥﴾ أَوْ مِسْكِينًا ذَا مَتْرَبَةٍ ﴿١٦﴾ ثُمَّ كَانَ مِنَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَتَوَاصَوْا۟ بِٱلصَّبْرِ وَتَوَاصَوْا۟ بِٱلْمَرْحَمَةِ ﴿١٧﴾ أُو۟لَٰٓئِكَ أَصْحَٰبُ ٱلْمَيْمَنَةِ ﴿١٨﴾ وَٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَا هُمْ أَصْحَٰبُ ٱلْمَشْـَٔمَةِ ﴿١٩﴾ عَلَيْهِمْ نَارٌ مُّؤْصَدَةٌ﴾.

www.menhag-un.com

تَفْسِيرُ الْآيَاتِ(١):

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿أَلَمْ نَجْعَل لَّهُۥ عَيْنَيْنِ ۝٨ وَلِسَانًا وَشَفَتَيْنِ﴾: فَنِعَمُ اللهِ مُتَظَاهِرَةٌ، يُقَرِّرُكَ بِهَا؛ كَيْمَا تَشْكُرَ نِعَمَ اللهِ عَلَيْكَ(٢).

«﴿أَلَمْ نَجْعَل لَّهُۥ عَيْنَيْنِ﴾: يُبْصِرُ بِهِمَا، ﴿وَلِسَانًا وَشَفَتَيْنِ﴾: يَنْطِقُ بِهِمَا، وَبَيَّنَّا لَهُ سَبِيلَيِ الخَيْرِ وَالشَّرِّ»(٣).

﴿وَهَدَيْنَٰهُ ٱلنَّجْدَيْنِ﴾: وَبَيَّنَّا لَهُ طَرِيقَ الْخَيْرِ وَالشَّرِّ(٤)،.....

---

(١) «تفسير البغوي» (٨/ ٤٣١ - ٤٣٣).

(٢) أخرج الطبري في «تفسيره» (٢٤/ ٤٣٧)، بإسناد صحيح، عَنْ قَتَادَةَ، قَوْلُهُ: ﴿أَلَمْ نَجْعَل لَّهُۥ عَيْنَيْنِ ۝٨ وَلِسَانًا وَشَفَتَيْنِ﴾، قال: «نِعَمٌ مِنَ اللهِ مُتَظَاهِرَةٌ، يُقَرِّرُكَ بِهَا كَيْمَا تَشْكُرُهُ».

(٣) «التفسير الميسر» (ص٥٩٤).

(٤) أخرج عبد الرزاق في «تفسيره» (رقم ٣٦٢٠)، والطبري في «تفسيره» (٢٤/ ٤٣٧)، والطبراني في «الكبير» (٩/ رقم ٩٠٩٧)، والحاكم في «المستدرك» (٢/ ٥٢٣، رقم ٣٩٣٤)، واللالكائي في «شرح أصول الاعتقاد» (٣/ رقم ٩٥٦)، بإسناد حسن، عَنْ ابْنِ مَسْعُودٍ، فِي قَوْلِهِ: ﴿وَهَدَيْنَٰهُ ٱلنَّجْدَيْنِ﴾، قَالَ: «سَبِيلُ الْخَيْرِ، وَسَبِيلُ الشَّرِّ»، وعزاه السيوطي في «الدر» (٨/ ٥٢١) للفريابي، وعبد بن حميد، وابن المنذر، وابن أبي حاتم.

وروي عن علي بن أبي طالب، وابن عباس مثله، وهو قول مجاهد، وعكرمة، والحسن، والضحاك، وقتادة، وابن زيد، وعزاه البغوي لِأَكْثَر الْمُفَسِّرِينَ، واختاره =

وَبيَّنَّا لَهُ الْحَقَّ وَالْبَاطِلَ، وَالْهُدَىٰ وَالضَّلَالَ(١).

﴿فَلَا ٱقْتَحَمَ ٱلْعَقَبَةَ﴾: فَهَلَّا أَنْفَقَ مَالَهُ فِيمَا يَجُوزُ بِهِ -الْعَقَبَةَ-؟ مِنْ فَكِّ الرِّقَابِ وَإِطْعَامِ السَّغْبَانِ(٢).

﴿فَلَا ٱقْتَحَمَ ٱلْعَقَبَةَ﴾: وَالْعَقَبَةُ: الْأَمْرُ الصَّعْبُ(٣)،.....

=

ابن جرير الطبري.

(١) أخرج الطبري في «تفسيره» (٢٤/ ٤٣٨)، والبيهقي في «القضاء والقدر» (رقم ٤٩٣)، بإسناد صحيح، عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ، فِي قَوْلِهِ: ﴿وَهَدَيْنَٰهُ ٱلنَّجْدَيْنِ﴾، قَالَ: «**الضَّلَالَةُ وَالْهُدَىٰ**»، وعزاه السيوطي في «الدر» (٨/ ٥٢١) لابن المنذر، وابن أبي حاتم، وهذا القول والذي قبله بمعنىٰ واحد.

(٢) (**سَغْبَانُ**): جَوْعَانُ، ومنه قَوْله تَعَالَىٰ: ﴿فِى يَوْمٍ ذِى مَسْغَبَةٍ﴾، أَي: مَجاعةٍ، انظر: «لسان العرب» (١/ ٤٦٨) مادة: (سغب)، ويأتي إن شاء الله.

وَ(**الِاقْتِحَامُ**): الرَّمْيُ بِالنَّفْسِ فِي شَيْءٍ مِنْ غَيْرِ رَوِيَّةٍ، يُقَالُ مِنْهُ: قَحَمَ فِي الْأَمْرِ قُحُومًا، أَيْ: رَمَىٰ بِنَفْسِهِ فِيهِ مِنْ غَيْرِ رَوِيَّةٍ، وَتَقْحِيمُ النَّفْسِ فِي الشَّيْءِ: إِدْخَالُهَا فِيهِ مِنْ غَيْرِ رَوِيَّةٍ، وَالْقُحْمَةُ بِالضَّمِّ: الْمَهْلَكَةُ، انظر: «الصحاح» (٥/ ٢٠٠٦)، و«لسان العرب» (١٢/ ٤٦٢) مادة: (قحم)، «فتح القدير» (٥/ ٥٤٠).

(٣) قال أهل اللغة: (**العَقَبَةُ**): طَرِيقٌ فِي الْجَبَلِ وَعْرٌ يُرْتَقَىٰ بمَشَقَةٍ، وجمعُه: عَقَبٍ وعِقابٌ، ثُمَّ رُدَّ هَذَا إِلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ فِيهِ عُلُوٌّ أَوْ شِدَّةٌ، انظر: «مقاييس اللغة» (٤/ ٨٤)، و«لسان العرب» (١/ ٦٢١) مادة: (عقب).

قال البغوي في «تفسيره» (٨/ ٤٣١): «...، وَذِكْرُ (الْعَقَبَةِ) هَاهُنَا مَثَلٌ ضَرَبَهُ اللهُ لِمُجَاهِدَةِ

=

www.menhaj-un.com

«فَهَلَّا تَجَاوَزَ مَشَقَّةَ الآخِرَةِ بِإِنْفَاقِ مَالِهِ فَيَأْمَنُ»(١).

=

النَّفْسِ وَالْهَوَىٰ وَالشَّيْطَانِ فِي أَعْمَالِ الْبِرِّ، فَجَعَلَهُ كَالَّذِي يَتَكَلَّفُ صُعُودَ الْعَقَبَةِ، يَقُولُ: (لَمْ يَحْمِلْ عَلَىٰ نَفْسِهِ الْمَشَقَّةَ بِعِتْقِ الرَّقَبَةِ وَلَا طَعَامٍ)، وَهَذَا مَعْنَىٰ قَوْلِ قَتَادَةَ»؛ فقد أخرج عبد الرزاق في «تفسيره» (٣/ رقم ٣٦٢٢)، والطبري في «تفسيره» (٢٤/ ٤٤٠)، بإسناد صحيح، عَنْ قَتَادَةَ، فِي قَوْلِهِ تَعَالَىٰ: ﴿فَلَا ٱقْتَحَمَ ٱلْعَقَبَةَ﴾، قَالَ: «**النَّارُ عَقَبَةٌ دُونَ الْجَنَّةِ**»، قَالَ: ﴿فَلَا ٱقْتَحَمَ ٱلْعَقَبَةَ ﴿١١﴾ وَمَآ أَدْرَىٰكَ مَا ٱلْعَقَبَةُ﴾، ثُمَّ أَخْبَرَ عَنِ اقْتِحَامِهَا، قَالَ: ﴿فَكُّ رَقَبَةٍ ﴿١٣﴾ أَوْ إِطْعَٰمٌ فِي يَوْمٍ ذِي مَسْغَبَةٍ﴾، وعزاه السيوطي في «الدر» (٨/ ٥٢٣) لعبد بن حميد، وابن المنذر.

وَعلىٰ هذا فمَعْنَىٰ: ﴿فَلَا ٱقْتَحَمَ ٱلْعَقَبَةَ﴾، أَيْ: (لم يقتحم العقبة)، وَالْعَرَبُ إِذَا نَفَتْ بِـ(لَا) فِعْلًا مَاضِيا كَرَّرَتْ (لَا) وكان المراد به الإخبار، كَقَوْلِهِ: ﴿فَلَاصَدَّقَ وَلَاصَلَّىٰ﴾ [القيامة: ٣١]، وَقَوْلِهِ: ﴿**وَلا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلا هُمْ يَحْزَنُونَ**﴾، وَلَمْ يُكَرِّرْهَا هَاهُنَا؛ اسْتِغْنَاءً بِدَلَالَةِ آخِرِ الْكَلَامِ عَلَىٰ مَعْنَاهُ، مِنْ إِعَادَتِهَا مَرَّةً أُخْرَىٰ، وَذَلِكَ قَوْلُهُ إِذْ فَسَّرَ اقْتِحَامَ الْعَقَبَةِ، فَقَالَ: ﴿فَكُّ رَقَبَةٍ ﴿١٣﴾ أَوْ إِطْعَٰمٌ فِي يَوْمٍ ذِي مَسْغَبَةٍ ﴿١٤﴾ يَتِيمًا ذَا مَقْرَبَةٍ ﴿١٥﴾ أَوْ مِسْكِينًا ذَا مَتْرَبَةٍ ﴿١٦﴾ ثُمَّ كَانَ مِنَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟﴾، فَفَسَّرَ ذَلِكَ بِأَشْيَاءَ ثَلَاثَةٍ، فَكَانَ كَأَنَّهُ فِي أَوَّلِ الْكَلَامِ، قَالَ: (فَلَا فك رقبة، وَلَا أطعم مسكينا، وَلَا آمن)، انظر: «تفسير الطبري» (٢٤/ ٤٤٠).

(١) «التفسير الميسر» (ص٥٩٤)، وهو معنىٰ قول ابن زيد؛ فقد فسر (**فَلا**) بمعنىٰ: (**أفلا**)، فيكون المراد بـ(لَا) الاستفهام، أخرجه الطبري في «تفسيره» (٢٤/ ٤٤٠)، بإسناد صحيح، عَنِ ابْنِ زَيْدٍ، فِي قَوْلِهِ: ﴿فَلَا ٱقْتَحَمَ ٱلْعَقَبَةَ﴾، قَالَ: «**أَفَلَا سَلَكَ الطَّرِيقَ الَّتِي مِنْهَا النَّجَاةُ وَالْخَيْرُ**».

﴿وَمَآ أَدۡرَىٰكَ مَا ٱلۡعَقَبَةُ﴾: «وَأَيُّ شَيْءٍ أَعْلَمَكَ مَا مَشَقَّةُ الآخِرَةِ، وَمَا يُعِينُ عَلَىٰ تَجَاوُزِهَا»(١).

﴿فَكُّ رَقَبَةٍ﴾: إِطْلَاقُهَا وَعِتْقُهَا، «إِنَّهُ عِتْقُ رَقَبَةٍ مُؤْمِنَةٍ مِنْ أَسْرِ الرِّقِّ»(٢).

﴿أَوۡ إِطۡعَٰمٞ فِي يَوۡمٖ ذِي مَسۡغَبَةٖ﴾: ذِي مَجَاعَةٍ، «إِطْعَامٌ فِي يَومِ مَجَاعَةٍ شَدِيدَةٍ»(٣).

﴿يَتِيمٗا ذَا مَقۡرَبَةٍ ۝١٥ أَوۡ مِسۡكِينٗا ذَا مَتۡرَبَةٖ﴾: ﴿يَتِيمًا ذَا مَقْرَبَةٍ﴾: ذَا قَرَابَةٍ وَرَحِمٍ، [لَاسِيَّمَا بَيْنَكَ وَبَيْنَهُ قَرَابَةٌ](٤).

﴿أَوْ مِسْكِينًا ذَا مَتْرَبَةٍ﴾: قَدْ لَصِقَ بِالتُّرَابِ مِنْ فَقْرِهِ وَضُرِّهِ(٥).

---

(١) «التفسير الميسر» (ص٥٩٤)، وقد قَال ابْنُ عُيَيْنَةَ: «مَا كَانَ فِي القُرْآنِ: ﴿وَمَا يُدْرِيكَ﴾ فَلَمْ يُخْبِرْهُ، وَمَا كَانَ: ﴿وَمَآ أَدۡرَىٰكَ﴾ فَقَدْ أَخْبَرَهُ»، أخرجه الطبري في «تفسيره» (٢٣/ ٥٧٠)، وابن حجر في «تغليق التعليق» (٣/ ٢٠٤)، وهو صحيح عنه.

(٢) «التفسير الميسر» (ص٥٩٤).

(٣) المرجع السابق.

(٤) «تفسير البغوي»: [يُرِيدُ يَتِيمًا بَيْنَكَ وَبَيْنَهُ قَرَابَةٌ].

(٥) أخرج الطبري في «تفسيره» (٢٤/ ٤٤٣ - ٤٤٥)، والحاكم في «المستدرك» (٢/ ٥٢٤، رقم ٣٩٣٦، و ٣٩٣٧)، وابن حجر في «تغليق التعليق» (٤/ ٣٦٨ – ٣٦٩)، بإسناد صحيح، عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ، أَنَّهُ قَالَ فِي قَوْلِهِ: ﴿أَوْ مِسْكِينًا ذَا مَتْرَبَةٍ﴾: «هُوَ اللَّازِقُ بِالتُّرَابِ مِنْ شِدَّةِ الْفَقْرِ»، وفي لفظ: «الْمِسْكِينُ الْمَطْرُوحُ فِي التُّرَابِ»، وفي لفظ: «الَّذِي =

«أَوْ إِطْعَامٌ فِي يَوْمٍ مَجَاعَةٍ شَدِيدَةٍ، يَتِيمًا مِنْ ذَوِي الْقَرَابَةِ، يَجْتَمِعُ فِيهِ فَضْلُ الصَّدَقَةِ وَصِلَةِ الرَّحِمِ، أَوْ فَقِيرًا مُعْدَمًا لَا شَيْءَ عِنْدَهُ»(١).

﴿ثُمَّ كَانَ مِنَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَتَوَاصَوْاْ بِٱلصَّبْرِ﴾: عَلَىٰ فَرَائِضِ اللهِ(٢)، ﴿وَتَوَاصَوْاْ بِٱلْمَرْحَمَةِ﴾: وَأَوْصَىٰ بَعْضُهُمْ بَعْضًا بِالرَّحْمَةِ بِالنَّاسِ.

«ثُمَّ كَانَ مَعَ فِعْلِ مَا ذُكِرَ مِنْ أَعْمَالِ الخَيْرِ مِنَ الَّذِينَ أَخْلَصُوا الإِيمانَ للهِ وَأَوْصَىٰ بَعْضُهُمْ بَعْضًا بِالصَّبْرِ عَلَىٰ طَاعَةِ اللهِ، وَبِالصَّبْرِ عَنْ مَعَاصِي اللهِ، وَتَوَاصَوا بِالرَّحْمَةِ بِالخَلْقِ.

= **لَيْسَ لَهُ مَأْوَىٰ إِلَّا التُّرَابُ»**، وعزاه السيوطي في «الدر» (٨/ ٥٢٥) للفريابي، وسعيد بن منصور، وعبد بن حميد، وابن المنذر، وابن أبي حاتم، وهو قول مجاهد، وعكرمة، واختاره ابن جرير الطبري، والشوكاني.

(١) «التفسير الميسر» (ص٥٩٤).

(٢) وهو قول هِشَام بن حسان، عزاه السيوطي في «الدر» (٨/ ٥٢٦) لابن أبي حاتم، وقول أيضا كعب الأحبار، ومقاتل بن سليمان، ويحيىٰ بن سلام.

وأخرج عبد الرزاق في «تفسيره» (٣/ رقم ٣٦٩٣)، وابن أبي الدنيا في «الإشراف في منازل الأشراف» (رقم ١٣٦)، والطبري في «تفسيره» (٢٤/ ٥٩١)، بإسناد صحيح، عَنِ الْحَسَنِ، فِي قَوْلِهِ تَعَالَىٰ: ﴿وَتَوَاصَوْاْ بِٱلصَّبْرِ﴾: «**الصَّبْرُ: طَاعَةُ اللهِ**»، وهو قول قتادة، والمعنىٰ متقارب.

﴿أُولَٰئِكَ أَصْحَابُ الْمَيْمَنَةِ﴾: الَّذِينَ فَعَلُوا هَذِهِ الْأَفْعَالَ هُمْ أَصْحَابُ الْيَمِينِ، الَّذِينَ يُؤْخَذُ بِهِمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ ذَاتَ الْيَمِينِ إِلَىٰ الجَنَّةِ.

﴿وَالَّذِينَ كَفَرُوا بِآيَاتِنَا هُمْ أَصْحَابُ الْمَشْأَمَةِ﴾: وَالَّذِينَ كَفَرُوا بِالْقُرْآنِ(١)، هُمُ الَّذِينَ يُؤْخَذُ بِهِمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ ذَاتَ الشِّمَالِ إِلَىٰ النَّارِ»(٢)، ﴿عَلَيْهِمْ نَارٌ مُؤْصَدَةٌ﴾: هِيَ مُطْبَقَةٌ عَلَيْهِمْ أَبْوَابُهَا، لَا يَدْخُلُ فِيهَا رَوْحٌ وَلَا يَخْرُجُ مِنْهَا غَمٌّ، «جَزَاؤُهُمْ جَهَنَّمُ مُطْبَقَةٌ عَلَيهِمْ مُغْلَقَةٌ»(٣).

❁❁❁

(١) وهو قول سعيد بن جبير، «تفسير الماوردي» (٦/ ٢٨٠).

(٢) «التفسير الميسر» (ص٥٩٤ - ٥٩٥).

(٣) المرجع السابق (ص٥٩٥).

جامعة منهاج النبوة
www.menhag-un.com

المَعْنَى الإِجْمَالِيُّ:

يُعَدِّدُ سُبْحَانَهُ عَلَىٰ الإِنسَانِ شَيْئًا مِنْ نِعَمِهِ الَّتِي أَنْعَمَ بِهَا عَلَيهِ، وَيَذْكُرُهَا لِيَشْكُرَ، فَقَالَ فِي صِيغَةِ الاسْتِفْهَامِ التَّقْرِيرِيِّ: أَمَا جَعَلْنَا لَهُ عَيْنَينِ يُبْصِرُ بِهِمَا المَرْئِيَّاتِ؟

وَلِسَانًا يَنْطِقُ بِهِ وَيُعَبِّرُ عَمَّا فِي ضَمِيرِهِ مِنَ المُغَيَّبَاتِ؟

وَشَفَتَينِ يَسْتَعِينُ بِهِمَا عَلَىٰ الْكَلَامِ، وأَكْلِ الطَّعَامِ وَجَمَالًا لِوَجْهِهِ وَفَمِهِ؟

وَبَيَّنَّا لَهُ طَرِيقَ الخَيرِ وَالشَّرِّ، وَالحَقَّ وَالبَاطِلَ، وَالهُدَىٰ وَالضَّلَالَ؟

فَهَلَّا كَانَ مِنَ الْأَجْدَرِ بِهِ مُقَابَلَةُ هَذِهِ النِّعَمِ أَنْ يُنْفِقَ مَالَهُ فِي مَرْضَاةِ اللهِ مِمَّا يَجْتَازُ بِهِ الْعَقَبَةَ؟

ثُمَّ عَظَّمَ شَأْنَ الْعَقَبَةِ بِالسُّؤَالِ عَنْهَا: ﴿وَمَآ أَدْرَىٰكَ مَا ٱلْعَقَبَةُ﴾؟

وَأَرْشَدَ إِلَىٰ اِقْتِحَامِهَا بِسُلُوكِ أَبْوَابٍ مِنَ الخَيْرِ: مِنْ فَكِّ الرِّقَابِ مِنَ الرِّقِّ، وَإِطْعَامِ الْيَتِيمِ الْقَرِيبِ فِي يَومِ المَجَاعَةِ، وَإِطْعَامِ المِسْكِينِ الَّذِي لَا شَيْءَ لَهُ حَتَّىٰ كَأَنَّهُ لَصِقَ بِالتُّرَابِ مِنَ الْفَقْرِ.

ثُمَّ كَانَ مَعَ هَذِهِ الْأَعْمَالِ الْكَرِيمَةِ الَّتِي ذُكِرَتْ مِنَ المُؤْمِنِينَ الَّذِينَ يَحْتَسِبُونَ ثَوَابَ مَا قَدَّمُوا مِنْ عَمَلٍ صَالِحٍ عِنْدَ اللهِ، وَمِنَ الَّذِينَ يُوصِي بَعْضُهُمْ بَعْضًا

بِالصَّبْرِ عَلَىٰ طَاعَةِ اللهِ، وَالصَّبْرِ عَنْ المَعَاصِي، وَالصَّبْرِ عَلَىٰ مَا يُصِيبُهُمْ مِنَ الْبَلَاءِ وَمِنْ أَذَىٰ النَّاسِ، مِنَ الَّذِينَ يُوصِي بَعْضُهُمْ بَعْضًا بِالتَّرَاحُمِ، وَالرِّفْقِ بِالخَلْقِ، وَلِذَلِكَ رَحِمُوا الْيَتِيمَ وَالمِسْكِينَ.

وَأَصْحَابُ هَذِهِ الْأَوْصَافِ؛ وَصَفَهُمُ اللهُ سُبْحَانَهُ بِأَنَّهُمْ أَصْحَابُ الْيَمِينِ الَّذِينَ يُؤْتَوْنَ كُتُبَ أَعْمَالِهِمْ بِأَيْمَانِهِمْ، أَمَّا الَّذِينَ جَحَدُوا آيَاتِ اللهِ، وَكَفَرُوا فَهُمْ أَصْحَابُ الشِّمَالِ تُطْبِقُ عَلَيهِمُ النَّارُ، فَلَا مَحِيدَ عَنْهَا، وَلَا مَخْرَجَ لَهُمْ مِنْهَا.

جامعة منهاج النبوة
www.menhag-un.com

مَا يُسْتَفَادُ مِنَ الآيَاتِ:

١- فِي الْآيَاتِ: تَذْكِيرُ اللهِ عِبَادَهُ بِنِعَمِهِ عَلَيهِمْ؛ لِيَقُومُوا بِحَقِّهَا، وَهُوَ الشُّكْرُ لَهُ تَعَالَىٰ.

٢- وَفِيهَا: التَّنْدِيدُ بِمَنْ يُنْفِقُ مَالَهُ فِي مَعْصِيَةِ اللهِ وَالرَّسُولِ ﷺ.

٣- وَفِيهَا: الحَثُّ عَلَىٰ أَفْعَالِ الخَيرِ مِنْ عِتْقِ الرِّقَابِ، وَإِطْعَامِ الطَّعَامِ أَوْقَاتِ المَسَاغِبِ وَالمَجَاعَاتِ، وَصِلَةِ الْأَرْحَامِ، وَالْعَطْفِ عَلَىٰ الْأَيْتَامِ، وَالبِرِّ بِالمَسَاكِينِ.

٤- وَفِيهَا: بَيَانُ مَآلِ المُؤْمِنِينَ الصَّادِقِينَ الْعَامِلِينَ أَعْمَالَ الخَيْرِ.

٥- وَفِيهَا: بَيَانُ مَآلِ الْكَافِرِينَ الجَاحِدِينَ مَعَ التَّنْدِيدِ بِالْكُفْرِ، وَالْوَعِيدِ الشَّدِيدِ لِأَهْلِهِ.

منهاج النبوة
www.menhag-un.com

بَيْنَ يَدَيِ سُورَةِ الشَّمْسِ

قَدْ تَنَاوَلَتْ مَوْضُوعَيْنِ اثْنَيْنِ وَهُمَا:

١- مَوْضُوعُ النَّفْسِ الْإِنْسَانِيَّةِ، وَمَا جَبَلَهَا اللهُ مِنَ الْخَيْرِ وَالشَّرِّ، وَالْهُدَىٰ وَالضَّلَالِ.

٢- وَمَوْضُوعُ الطُّغْيَانِ مُمَثَّلًا فِي قِصَّةِ (ثَمُودَ) الَّذِينَ عَقَرُوا النَّاقَةَ، فَأَهْلَكَهُمُ اللهُ وَدَمَّرَهُمْ، وَأَبَادَهُمْ عَنْ آخِرِهِمْ.

* ابْتَدَأَتِ السُّورَةُ الْكَرِيمَةُ بِالْقَسَمِ بِسَبْعَةِ أَشْيَاءَ مِنْ مَخْلُوقَاتِ اللهِ جَلَّوَعَلَا، فَأَقْسَمَ تَعَالَىٰ بِالشَّمْسِ وَضَوْئِهَا السَّاطِعِ، وَبِالْقَمَرِ إِذَا أَعْقَبَهَا وَهُوَ طَالِعٌ، ثُمَّ بِالنَّهَارِ إِذَا جَلَا ظُلْمَةَ اللَّيْلِ بِضِيَائِهِ، وَبِاللَّيْلِ إِذَا غَطَّىٰ الْكَائِنَاتِ بِظَلَامِهِ، ثُمَّ بِالْقَادِرِ الَّذِي أَحْكَمَ بِنَاءَ السَّمَاءِ بِلَا عَمَدٍ، وَبِالْأَرْضِ الَّذِي بَسَطَهَا عَلَىٰ مَاءٍ جَمُدَ، وَبِالنَّفْسِ الْبَشَرِيَّةِ الَّتِي كَمَّلَهَا اللهُ، وَزَيَّنَهَا بِالْفَضَائِلِ وَالْكَمَالَاتِ، أَقْسَمَ بِهَذِهِ الْأُمُورِ عَلَىٰ فَلَاحِ الْإِنْسَانِ وَنَجَاحِهِ إِذَا اتَّقَىٰ اللهَ، وَعَلَىٰ شَقَاوَتِهِ وَخُسْرَانِهِ إِذَا طَغَىٰ وَتَمَرَّدَ، وَفَسَقَ وَفَجَرَ.

* ثُمَّ ذَكَرَ تَعَالَىٰ قِصَّةَ (ثَمُودَ) قَوْمِ صَالِحٍ حِينَ كَذَّبُوا رَسُولَهُمْ، وَطَغَوْا وَبَغَوْا فِي الْأَرْضِ وَعَقَرُوا النَّاقَةَ الَّتِي خَلَقَهَا اللهُ تَعَالَىٰ مِنْ صَخْرٍ أَصَمَّ مُعْجِزَةً لِرَسُولِهِ

صَالِحٍ عليه السلام، وَمَا كَانَ مِنْ أَمْرِ هَلَاكِهِمُ الْفَظِيعِ الَّذِي بَقِيَ عِبْرَةً لِمَنْ يَعْتَبِرُ، وَهُوَ نُمُوذَجٌ لِكُلِّ كَافِرٍ فَاجِرٍ، مُكَذِّبٍ لِرُسُلِ اللهِ ﴿كَذَّبَتْ ثَمُودُ بِطَغْوَىٰهَآ ﴿١١﴾ إِذِ ٱنۢبَعَثَ أَشْقَىٰهَا ﴿١٢﴾ فَقَالَ لَهُمْ رَسُولُ ٱللَّهِ نَاقَةَ ٱللَّهِ وَسُقْيَٰهَا ﴿١٣﴾ فَكَذَّبُوهُ فَعَقَرُوهَا ..﴾ الْآيَاتِ.

* وَقَدْ خُتِمَتِ السُّورَةُ الْكَرِيمَةُ بِأَنَّهُ تَعَالَىٰ لَا يَخَافُ عَاقِبَةَ إِهْلَاكِهِمْ وَتَدْمِيرَهُمْ، لِأَنَّهُ ﴿لَا يُسْـَٔلُ عَمَّا يَفْعَلُ وَهُمْ يُسْـَٔلُونَ﴾ [الأنبياء: ٢٣]، وَلِهَذَا قَالَ سُبْحَانَهُ: ﴿فَدَمْدَمَ عَلَيْهِمْ رَبُّهُم بِذَنۢبِهِمْ فَسَوَّىٰهَا ﴿١٤﴾ وَلَا يَخَافُ عُقْبَٰهَا﴾.

جامعة منهاج النبوة
www.menhag-un.com

سُورَةُ الشَّمْسِ

مَكِّيَّةٌ، وَآيَاتُهَا خَمْسَ عَشْرَةَ آيَةً

الآيات من: ١ إلى: ١٠

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

﴿وَٱلشَّمْسِ وَضُحَىٰهَا ﴿١﴾ وَٱلْقَمَرِ إِذَا تَلَىٰهَا ﴿٢﴾ وَٱلنَّهَارِ إِذَا جَلَّىٰهَا ﴿٣﴾ وَٱلَّيْلِ إِذَا يَغْشَىٰهَا ﴿٤﴾ وَٱلسَّمَآءِ وَمَا بَنَىٰهَا ﴿٥﴾ وَٱلْأَرْضِ وَمَا طَحَىٰهَا ﴿٦﴾ وَنَفْسٍ وَمَا سَوَّىٰهَا ﴿٧﴾ فَأَلْهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقْوَىٰهَا ﴿٨﴾ قَدْ أَفْلَحَ مَن زَكَّىٰهَا ﴿٩﴾ وَقَدْ خَابَ مَن دَسَّىٰهَا﴾.

www.menhag-un.com

تَفْسِيرُ الْآيَاتِ(١):

قَالَ تَعَالَىٰ فِي «سُورَةِ الشَّمْسِ»: ﴿وَٱلشَّمۡسِ وَضُحَىٰهَا﴾: وَأَقْسَمَ اللهُ رَبُّ الْعَالمينَ بِالشَّمْسِ، وَأَقْسَمَ اللهُ رَبُّ الْعَالمينَ بِضُحَاهَا.

وَضُحَاهَا: ضَوْءُهَا وَإِشْرَاقُهَا(٢)، وَقَدْ أَضَافَ الضُّحَىٰ إِلَىٰ الشَّمْسِ؛ لِأَنَّهُ إِنَّمَا يَكُونُ عِنْدَ اِرْتِفَاعِهَا.

﴿وَٱلۡقَمَرِ إِذَا تَلَىٰهَا﴾: وَأَقْسَمَ اللهُ رَبُّ الْعَالمينَ بِالْقَمَرِ إِذَا تَبِعَهَا أَيْ: تَبِعَ الشَّمْسَ.

﴿وَٱلنَّهَارِ إِذَا جَلَّىٰهَا﴾: أَظْهَرَهَا وَاضِحَةً جَلِيَّةً، فَأَقْسَمَ اللهُ رَبُّ الْعَالمينَ بِالنَّهَارِ إِذَا جَلَّىٰ الشَّمْسَ.

---

(١) «تفسير البغوي» (٨/ ٤٣٩)، و«فتح القدير» (٥/ ٥٤٥ - ٥٤٧).

(٢) وهو قول مجاهد، أخرجه عبد الرحمن بن الحسن الهمداني في «تفسير مجاهد» (ص٧٣٢)، والفريابي كما في «تغليق التعليق» لابن حجر (٣/ ٤٩١ - ٤٩٢)، والطبري في «تفسيره» (٢٤/ ٤٥١)، من طرق: عَنِ ابْنِ أَبِي نَجِيحٍ، عَنْ مُجَاهِدٍ، فِي قَوْلِهِ: ﴿وَٱلشَّمۡسِ وَضُحَىٰهَا﴾، قَالَ: «ضَوْءُهَا»، وفي رواية: «إشراقها»، وهو صحيح عنه، وذكره البخاري معلقا في «صحيحه» (كتاب بدء الخلق، باب ٤)، وعزاه السيوطي في «الدر» (٨/ ٥٢٩) لعبد بن حميد، وابن المنذر، وابن أبي حاتم.

﴿وَٱلَّيۡلِ إِذَا يَغۡشَىٰهَا﴾: وَأَقْسَمَ اللهُ رَبُّ الْعَالمينَ بِاللَّيْلِ، يَغْشَاهَا: يُغَطِّيهَا، فَيَغْشَىٰ الشَّمْسَ حَتَّىٰ يُذْهِبَ ضَوْءَهَا.

﴿وَٱلسَّمَآءِ وَمَا بَنَىٰهَا﴾: فَأَقْسَمَ اللهُ رَبُّ الْعَالمينَ بِالسَّمَاءِ، ﴿وَمَا بَنَىٰهَا﴾: «وَمَا»: إِمَّا أَنْ تَكُونَ مَصْدَرِيَّةً، فَالتَّقْدِيرُ: وَالسَّمَاءِ أَوْ عَلَىٰ حَسَبِ مَا وَرَدَ فِي الْقَسَمِ: وَالسَّمَاءِ وَبُنْيَانِهَا(١)، وَإِمَّا أَنْ تَكُونَ مَوْصُولَةً: وَالسَّمَاءِ وَالَّذِي بَنَاهَا(٢).

وَ«مَا» فِي قَوْلِهِ تَعَالَىٰ: ﴿وَٱلۡأَرۡضِ وَمَا طَحَىٰهَا ۝٦ وَنَفۡسٖ وَمَا سَوَّىٰهَا﴾ كَمَا هِيَ فِي قَوْلِهِ تَعَالَىٰ: ﴿وَٱلسَّمَآءِ وَمَا بَنَىٰهَا﴾: إِمَّا أَنْ تَكونَ مَصْدَرِيَّةً، وَالتَّقْدِيرُ: وَالسَّمَاءِ وَبُنْيَانِهَا، وَإِمَّا أَنْ تَكُونَ مَوْصُولَةً، وَالتَّقْدِيرُ: وَالسَّمَاءِ وَالَّذِي بَنَاهَا، وَالسَّمَاءِ وَمَنْ بَنَاهَا.

﴿وَٱلۡأَرۡضِ وَمَا طَحَىٰهَا﴾: ﴿طَحَىٰهَا﴾: بَسَطَهَا(٣).

---

(١) وهو قول الْفَرَّاءُ، وَالزَّجَّاجُ في «معاني القرآن» (٥/ ٣٣٢).

(٢) أخرج عبد الرحمن بن الحسن الهمداني في «تفسير مجاهد» (ص٧٣٢)، والطبري في «تفسيره» (٢٤/ ٤٥٣)، وأبو الشيخ في «العظمة» (٣/ رقم ٥٥٥)، بإسناد صحيح، عَنْ مُجَاهِدٍ، قَوْلُهُ: ﴿وَٱلسَّمَآءِ وَمَا بَنَىٰهَا﴾، قَالَ: «اللهُ بَنَىٰ السَّمَاءَ»، وعزاه السيوطي في «الدر» (٨/ ٥٢٩) لعبد بن حميد، ابن المنذر، وابن أبي حاتم، وروي عن ابن عباس نحوه، وهو قول قتادة، واختاره ابن جرير الطبري.

(٣) أخرج عبد الرحمن بن الحسن الهمداني في «تفسير مجاهد» (ص٧٣٢)، والطبري في «تفسيره» (٢٤/ ٤٥٣)، بإسناد صحيح، عَنْ مُجَاهِدٍ، فِي قَوْلِهِ: ﴿وَمَا طَحَىٰهَا﴾، يَعْنِي: «وَمَا دَحَاهَا»، أي: بسطها، وذكره البخاري معلقا في «صحيحه» (كتاب بدء الخلق، باب ٢)، =

﴿وَنَفْسٍ وَمَا سَوَّىٰهَا﴾: فَأَقْسَمَ اللهُ رَبُّ الْعَالمينَ بِالنَّفْسِ وَتَسْوِيَتِهَا، أَوْ أَقْسَمَ بِالنَّفْسِ، وَبِمَنْ سَوَّاهَا فَأَحْسَنَ خَلْقَهَا.

﴿فَأَلْهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقْوَىٰهَا﴾: فَأَفْهَمَهَا وَعَرَّفَهَا فُجُورَهَا وَتَقْوَاهَا، طَرِيقَ الخَيرِ وَالشَّرِّ، وَسَبِيلَ الهُدَىٰ وَالضَّلَالِ(١).

ثُمَّ جَاءَ جَوَابُ الْقَسَمِ بَعْدَ تِلْكَ الْأَقْسَامِ الَّتِي مَرَّ ذِكْرُهَا: ﴿قَدْ أَفْلَحَ مَن زَكَّىٰهَا﴾: قَدْ فَازَ مَنْ طَهَّرَ النَّفْسَ.

﴿وَقَدْ خَابَ مَن دَسَّىٰهَا﴾: [مَنْ أَضَلَّهَا وَأَغْوَاهَا](٢)، وَدَسَّاهَا: أَصْلُهَا: دَسَّسَهَا مِنَ التَّدْسِيسِ، وَهُوَ إِخْفَاءُ الشَّيْءِ، فَأُبْدِلَتِ السِّينُ الثَّانِيَةُ يَاءً، دَسَسْتُ(١) دَسَّا.

=

وعزاه السيوطي في «الدر» (٨/ ٥٢٩) للفريابي، وعبد بن حميد، ابن المنذر، وابن أبي حاتم، وروي عن ابن عباس مثله، وهو قول قتادة، وأبو صالح، والضحاك، وابن زيد، ومقاتل، والزجاج، واختاره ابن جرير الطبري، وعزاه الشوكاني لعامة المفسرين.

(١) أخرج الطبري في «تفسيره» (٢٤/ ٤٥٤)، بإسناد صحيح، عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ قَوْلُهُ: ﴿فَأَلْهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقْوَاهَا﴾، يَقُولُ: «**بَيَّنَ الْخَيْرَ وَالشَّرَّ**»، وفي رواية: «**عَلَّمَهَا الطَّاعَةَ وَالْمَعْصِيَةَ**»، وعزاه السيوطي في «الدر» (٨/ ٥٢٨) لابن المنذر، وابن أبي حاتم، وهو قول مجاهد، وقتادة، والضحاك، والثوري، ومقاتل، والفراء.

(٢) في «فتح القدير»: [خَسِرَ مَنْ أَضَلَّهَا وَأَغْوَاهَا].

أخرج عبد الرحمن بن الحسن الهمداني في «تفسير مجاهد» (ص٧٣٣)، والطبري في «تفسيره» (٢٤/ ٤٥٧ - ٤٥٨)، والفريابي كما في «تغليق التعليق» (٥/ ١٩٠)، والبيهقي في «القضاء والقدر» (رقم ٣٥٤)، بإسناد صحيح، عَنْ مُجَاهِدٍ، قَوْلُهُ: ﴿مَن دَسَّىٰهَا﴾، قَالَ:

=

فَجَاءَ جَوَابُ الْقَسَمِ بَعْدَ أَنْ ذَكَرَ اللهُ رَبُّ الْعَالمينَ تِلْكَ الْأَقْسَامِ عَلَىٰ هَذَا الْأَمْرِ الْكَبِيرِ، وَعَلَىٰ هَذِهِ الحَقِيقَةِ النَّاصِعَةِ ﴿قَدْ أَفْلَحَ مَن زَكَّىٰهَا ۝٩ وَقَدْ خَابَ مَن دَسَّىٰهَا﴾.

«أَقْسَمَ سُبْحَانَهُ بِالشَّمْسِ وَنَهَارِهَا، وَإِشْرَاقِهَا ضُحًىٰ، وَبِالْقَمَرِ إِذَا تَبِعَهَا فِي الطُّلُوعِ وَالْأُفُولِ، وَبِالنَّهَارِ إِذَا جَلَّىٰ الظُّلْمَةَ وَكَشَفَهَا، وَبِاللَّيْلِ عِنْدَمَا يُغَطِّي الْأَرْضَ حَتَّىٰ يَكُونَ مَا عَلَيْهَا مُظْلِمًا، وَبِالسَّمَاءِ وَبِنَائِهَا الْمُحْكَمِ، وَبِالْأَرْضِ وَبَسْطِهَا، وَبِكُلِّ نَفْسٍ وَإِكْمَالِ اللهِ خَلْقَهَا؛ لِأَدَاءِ مُهِمَّتِهَا، فَبَيَّنَ لَهَا طَرِيقَ الشَّرِّ وَطَرِيقَ الخَيرِ.

أَقْسَمَ تَعَالَىٰ بِذَلِكَ كُلِّهِ عَلَىٰ أَنَّهُ قَدْ فَازَ مَنْ طَهَّرَهَا وَنَمَّاهَا بِالخَيرِ، وَقَدْ خَسِرَ مَنْ أَخْفَىٰ نَفْسَهُ فِي المَعَاصِي»(٢).

❁ ❁ ❁

= «**أَغْوَاهَا**»، وذكره البخاري معلقا في «صحيحه» في (كتاب القدر، باب ٨).

وفي رواية عَنْ مُجَاهِدٍ، وَسَعِيدِ بْنِ جُبَيْرٍ، قَالَ أَحَدُهُمَا: «**أَغْوَاهَا**»، وَقَالَ الْآخَرُ: «**أَضَلَّهَا**»، وعزاه السيوطي في «الدر» (٨/ ٥٢٩) لعبد بن حميد، وابن المنذر، وابن أبي حاتم، وروي مثله عن ابن عباس، وهو قول الحسن.

(١) انظر: «مقاييس اللغة» لابن فارس (٢/ ٢٥٦) مادة: (دَسَّ)

(٢) «التفسير الميسر» (ص٥٩٥).

المَعْنَى الإِجْمَالِيُّ:

هَذِهِ جُمْلَةُ أَشْيَاءَ أَقْسَمَ اللهُ بِهَا: فَأَقْسَمَ بِالشَّمْسِ وَارْتِفَاعِ ضَوْئِهَا، وَأَقْسَمَ بِالْقَمَرِ إِذَا تَبِعَ الشَّمْسَ فِي الضِّيَاءِ وَالنُّورِ، وَذَلِكَ فِي النِّصْفِ الْأَوَّلِ مِنَ الشَّهْرِ إِذَا غَرَبَتِ الشَّمْسُ تَلَاهَا الْقَمَرُ فِي الْإِضَاءَةِ.

وَأَقْسَمَ بِالنَّهَارِ إِذَا جَلَا ظُلْمَةَ الْبَسِيطَةِ، وَأَقْسَمَ بِاللَّيْلِ إِذَا غَشَّىٰ الشَّمْسَ حِينَ تَغِيبُ فَتُظْلِمُ الآفَاقَ، وَأَقْسَمَ بِالسَّمَاءِ وَمَنْ خَلَقَهَا وَهُوَ اللهُ جَلَّوَعَلَا، وَأَقْسَمَ بِالْأَرْضِ وَمَنْ بَسَطَهَا وَمَهَّدَهَا لِلسُّكْنَىٰ.

وَأَقْسَمَ بِالنَّفْسِ، وَالمُرَادُ بِهَا: كُلُّ نَفْسٍ مِنَ الجِنِّ وَمِنَ الْإِنْسِ ﴿وَمَا سَوَّىٰهَا﴾ وَعَدَلَ خَلْقَهَا وَسَوَّىٰ أَعْضَاءَهَا، وَأَقْسَمَ بِمَنْ سَوَّىٰ النَّفْسَ، وَبَيَّنَ لَهَا طَرِيقَ الخَيرِ وَالشَّرِّ، وَعَرَّفَهَا طَرِيقَ الْفُجُورِ وَالتَّقْوَىٰ؛ لِتَسْلُكَ أَيَّهُمَا شَاءَتْ حَسْبَ تَقْدِيرِهِ لَهَا فِي الأَزَلِ مِنَ الشَّقَاوَةِ وَالسَّعَادَةِ.

وَللهِ أَنْ يُقْسِمَ بِمَا شَاءَ مِنْ مَخْلُوقَاتِهِ، أَمَّا المَخْلُوقُ فَلَا يَجُوزُ لَهُ أَنْ يُقْسِمَ بِغَيرِ اللهِ.

أَقْسَمَ سُبْحَانَهُ بِكُلِّ هَذِهِ الْأَقْسَامِ أَنَّ الْفَوْزَ وَالْفَلَاحَ لمنْ يُزَكِّي نَفْسَهُ وَيُطَهِّرُهَا مِنَ الذُّنُوبِ وَالمعَاصِي، وَأَنَّ الخَيْبَةَ وَالخُسْرَانَ لمنْ يَضَعُ نَفْسَهُ، وَيُحَقِّرُهَا بِالذُّنُوبِ وَالْكُفْرَانِ.

مَا يُسْتَفَادُ مِنَ الآيَاتِ[١]:

١- فِي الْآيَاتِ: الإِقْسَامُ بِهَذِهِ المَخْلُوقَاتِ؛ لِتَعْظِيمِهَا، وَتَشْرِيفِهَا، وَالدَّلَالَةِ عَلَىٰ عِظَمِ قَدْرِهَا، مَعَ بَيَانِ مَظَاهِرِ الْقُدْرَةِ الإِلَهِيَّةِ فِي الْآيَاتِ الَّتِي أَقْسَمَ بِهَا الرَّبُّ جَلَّ وَعَلَا.

٢- وَفِي الْآيَاتِ: إِتْقَانُ هَذِهِ المَخْلُوقَاتِ الْعَظِيمَةِ، وَهُوَ يَدُلُّ عَلَىٰ قُدْرَتِهِ تَعَالَىٰ وَأَنَّهُ المُسْتَحِقُّ لِلْعِبَادَةِ دُونَ غَيْرِهِ.

٣- وَفِي الْآيَاتِ: بَيَانُ مَا يَكُونُ بِهِ الْفَلَاحُ، وَمَا يَكُونُ بِهِ الخُسْرَانُ.

٤- وَفِي الْآيَاتِ: الحَثُّ عَلَىٰ تَزْكِيَةِ النَّفْسِ.

٥- وَفِيهَا: التَّحْذِيرُ مِنَ الْوُقُوعِ فِي الْآثَامِ وَالرَّذَائِلِ.

٦- وَفِيهَا: التَّرْغِيبُ فِي الإِيمَانِ، وَالْعَمَلِ الصَّالِحِ، وَالتَّرْهِيبِ مِنَ الشِّرْكِ وَالمعاصِي.

❁ ❁ ❁

(١) «أيسر التفاسير» (٥/ ٥٧٧).

www.menhag-un.com

الآيات من: ١١ إلى: (١٥) نهاية السورة

﴿كَذَّبَتْ ثَمُودُ بِطَغْوَىٰهَآ ﴿١١﴾ إِذِ ٱنۢبَعَثَ أَشْقَىٰهَا ﴿١٢﴾ فَقَالَ لَهُمْ رَسُولُ ٱللَّهِ نَاقَةَ ٱللَّهِ وَسُقْيَٰهَا ﴿١٣﴾ فَكَذَّبُوهُ فَعَقَرُوهَا فَدَمْدَمَ عَلَيْهِمْ رَبُّهُم بِذَنۢبِهِمْ فَسَوَّىٰهَا ﴿١٤﴾ وَلَا يَخَافُ عُقْبَٰهَا﴾.

www.menhag-un.com

تَفْسِيرُ الْآيَاتِ(١):

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿كَذَّبَتْ ثَمُودُ بِطَغْوَىٰهَآ﴾: الطَّغْوَىٰ: اِسْمٌ مِنَ الطُّغْيَانِ، كَالدَّعْوَىٰ مِنَ الدُّعَاءِ، وَالطُّغْيَانُ: مُجَاوَزَةُ الحَدِّ بِالمعَاصِي وَالانْحِرَافِ(٢)، وَالبَاءُ فِي قَوْلِهِ تَعَالَىٰ: ﴿بِطَغْوَىٰهَآ﴾ لِلسَّبَبِيَّةِ، فَكَانَ الطُّغْيَانُ سَبَبًا لِحَمْلِهَا عَلَىٰ التَّكْذِيبِ.

﴿إِذِ ٱنۢبَعَثَ أَشْقَىٰهَا﴾: حِينَ قَامَ أَشْقَىٰ ثَمُودَ، وَهُوَ قُدَارُ بْنُ سَالِفٍ، عَاقِرُ النَّاقَةِ فَعَقَرَ النَّاقَةَ، ﴿إِذِ ٱنۢبَعَثَ أَشْقَىٰهَا﴾: فَانْتُدِبَ لِذَلِكَ، وَقَامَ بِهِ.

﴿فَقَالَ لَهُمْ رَسُولُ ٱللَّهِ﴾: صَالِحٌ عليه السلام، ﴿نَاقَةَ ٱللَّهِ﴾: وَهِيَ مَنْصُوبَةٌ عَلَىٰ التَّحْذِيرِ: اِحْذَرُوا نَاقَةَ اللهِ، فَلَا تَعْقِرُوهَا، ﴿نَاقَةَ ٱللَّهِ وَسُقْيَىٰهَا﴾: دَعُوا سُقْيَاهَا، وَهُوَ شُرْبُهَا، فَلَا تَعْرِضُوا لَهَا يَوْمَ شُرْبِهَا.

---

(١) «فتح القدير» (٥/ ٥٤٧ - ٥٤٨).

(٢) أخرج الطبري في «تفسيره» (٢٤/ ٤٥٨)، بإسناد صحيح، عَنْ قَتَادَةَ، ﴿كَذَّبَتْ ثَمُودُ بِطَغْوَىٰهَآ﴾، أَيْ: «**بِالطُّغْيَانِ**»، وَقَالَ مُجَاهِدٌ: «**كَذَّبَتْ ثَمُودُ بِمَعْصِيَتِهِمُ اللهَ**»، أخرجه عبد الرحمن بن الحسن الهمداني في «تفسر مجاهد» (ص٧٣٣)، والطبري في «تفسيره» (٢٤/ ٤٥٨ - ٤٥٩)، والفريابي كما في «تغليق التعليق» لابن حجر (٤/ ٣٦٩)، بإسناد صحيح، وذكره البخاري معلقا في «صحيحه» في (كتاب التفسير، سورة ٩١)، وعزاه السيوطي في «الدر» (٨/ ٥٢٩) لعبد بن حميد، وابن المنذر، وابن أبي حاتم، وقال ابن زيد مثله، والمعنىٰ متقارب، قال ابن كثير في «تفسيره» (٨/ ٤١٣): «وهو الأولىٰ».

﴿فَكَذَّبُوهُ فَعَقَرُوهَا﴾: عَقَرَهَا الْأَشْقَىٰ، وَكَانُوا مُوَافِقِينَ لَهُ فِي ذَلِكَ، فَكَأَنَّمَا قَامُوا جَمِيعًا بِعَقْرِهَا.

﴿فَكَذَّبُوهُ فَعَقَرُوهَا فَدَمْدَمَ عَلَيْهِمْ رَبُّهُم﴾: أَطْبَقَ عَلَيْهِمْ رَبُّهُمْ بِذَنْبِهِمْ ﴿فَسَوَّىٰهَا﴾: فَسَوَّىٰ الدَّمْدَمَةَ عَلَيْهِمْ، وَعَمَّهُمْ بِهَا، وَحَقِيقَةُ الدَّمْدَمَةِ: تَضْعِيفُ الْعَذَابِ وَتَرْدِيدُهُ.

﴿وَلَا يَخَافُ عُقْبَاهَا﴾: وَلَا يَخَافُ عَاقِبَةً وَلَا تَبِعَةً(١).

«كَذَّبَتْ ثَمُودُ نَبِيَّهَا بِبُلُوغِهَا الْغَايَةَ فِي الْعِصْيَانِ؛ إِذْ نَهَضَ أَكْثَرُ الْقَبِيلَةِ شَقَاوَةً لِعَقْرِ النَّاقَةِ، فَقَالَ لَهُمْ رَسُولُ اللهِ صَالِحٌ عليه السلام: اِحْذَرُوا النَّاقَةَ الَّتِي أَرْسَلَهَا اللهُ لَكُمْ آيَةً، اِحْذَرُوهَا أَنْ تَمَسُّوهَا بِسُوءٍ، وَأَنْ تَعْتَدُوا عَلَىٰ سَقْيِهَا، فَإِنَّ لَهَا شِرْبَ يَومٍ وَلَكُمْ شِرْبَ يَومٍ مَعْلُومٍ.

فَشَقَّ عَلَيهِمْ ذَلِكَ، فَكَذَّبُوهُ فِيمَا تَوَعَدَهُمْ بِهِ، فَنَحَرُوهَا، فَأَطْبَقَ عَلَيْهِمْ رَبُّهُمُ الْعُقُوبَةَ بِجُرْمِهِمْ، فَجَعَلَ الْعُقُوبَةَ عَلَيهِمْ عَلَىٰ السَّواءِ، فَلَمْ يُفْلِت مِنْهمْ أَحَدٌ، وَلَا يَخَافُ -جَلَّتْ قُدْرَتُهُ- تَبِعَةَ مَا أَنْزَلَهُ بِهِم مِنْ شَدِيدِ الْعِقَابِ»(٢).

❁ ❁ ❁

---

(١) أخرج الطبري في «تفسيره» (٢٤/ ٤٦١)، بإسناد صحيح، عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ، قَوْلُهُ: ﴿وَلَا يَخَافُ عُقْبَاهَا﴾، قَالَ: «لَا يَخَافُ اللهُ مِنْ أَحَدٍ تَبِعَةً»، وعزاه السيوطي في «الدر» (٨/ ٥٣١) لابن المنذر، وابن أبي حاتم، وهو قول مجاهد، وقتادة، والحسن، وبكر بن عبد الله المزني، واختاره ابن كثير (٨/ ٤١٥)، والشوكاني.

(٢) «التفسير الميسر» (ص٥٩٥).

المَعْنَى الإِجْمَالِيُّ:

يَذْكُرُ سُبْحَانَهُ قِصَّةَ ثَمُودَ، وَهُمْ قَوْمُ صَالِحٍ عليه السلام ؛ لِكَيْ نَأْخُذَ الْعِبْرَةَ وَلِيَأْخُذَ الْعَالمونَ مِنْهَا الْعِبْرَةَ، وَلِيَرْتَدِعَ مَنْ كَذَّبَ رَسُولَ اللهِ ﷺ مِنْ قُرَيشٍ عَنْ تَكْذِيبِهِ، خَشْيَةَ أَنْ يُصِيبَهُ مَا أَصَابَ مَنْ قَبْلَهُ مِنَ الْأُمَمِ المُكَذِّبَةِ.

فَأَخْبَرَ سُبْحَانَهُ أَنَّ ثَمُودَ بِسَبَبِ طُغْيَانِهَا كَذَّبَتْ رَسُولَ اللهِ صَالِحًا عليه السلام فِيمَا أَخْبَرَهُمْ بِهِ مِنْ عَذَابِ اللهِ حِينَ قَامَ أَشْقَىٰ ثَمُودَ بِعَقْرِ النَّاقَةِ الَّتِي جَعَلَهَا اللهُ لَهُمْ آيَةً، فَنَهَاهُمْ رَسُولُ اللهِ صَالِحٌ عَنْ عَقْرِهَا قَائِلًا: اِحْذَرُوا عَقْرَ نَاقَةِ اللهِ، وَذَرُوا الماءَ فِي الْيَومِ الَّذِي تَشْرَبُ مِنْهُ، لَا تَتَعَرَّضُوا لَهُ، وَلَا تَعْتَدُوا عَلَيْهَا فِي سُقْيَاهَا، فَكَذَّبُوا صَالِحًا فِيمَا جَاءَهُمْ، وَفِيمَا أَنْذَرَهُمْ بِهِ مِنَ الْعَذَابِ.

وَتَجَرَّءُوا عَلَىٰ عَقْرِ النَّاقَةِ، فَأَهْلَكَهُمُ اللهُ هَلَاكَ اِسْتِئْصَالٍ فَلَمْ يُفْلِت مِنْهُمْ أَحَدٌ؛ لِأَنَّهُمْ أَجْمَعُوا عَلَىٰ قَتْلِ النَّاقَةِ، وَتَكْذِيبِ الرَّسُولِ، فَسَوَّىٰ اللهُ بَيْنَهُمْ فِي الْعَذَابِ وَالدَّمْدَمَةِ وَالتَّدْمِيرِ، وَتَضْعِيفِ الْعَذَابِ وَإِطْبَاقِهِ عَلَيهِمْ، فَعَلَ بِهِمْ سُبْحَانَهُ كُلَّ ذَلِكَ، وَلَمْ يَخَفْ فِيهِ تَبِعَةً مِنْ أَحَدٍ، فَهُوَ الحَكِيمُ فِي صُنْعِهِ لَا يُسْأَلُ عَمَّا يَفْعَلُ سبحانه وتعالى، وَهُمْ يُسْأَلُونَ.

www.menhag-un.com

مَا يُسْتَفَادُ مِنَ الآيَاتِ(١):

١- فِي الْآيَاتِ: التَّحْذِيرُ مِنْ تَكْذِيبِ الرُّسُلِ، فَإِنَّ الْكُفْرَ بِنِعَمِ اللهِ سَبَبٌ لِتَعْجِيلِ الْعَذَابِ فِي الدُّنْيَا.

٢- وَفِيهَا: التَّحْذِيرُ مِنَ الطُّغْيَانِ؛ فَإِنَّهُ مُهلِكٌ، وَمُدَمِّرٌ، وَمُوجِبٌ لِلْهَلَاكِ، وَالدَّمَارِ فِي الدُّنْيَا مَعَ مَا يَكُونُ مِنَ الْعَذَابِ فِي الْآخِرَةِ.

٣- وَفِي الْآيَاتِ: أَنَّ نَجَاةَ الْعَبْدِ مِنَ النَّارِ وَأَنَّ دُخُولَهُ الجَنَّةَ؛ كُلُّ ذَلِكَ مُتَوَقِّفٌ عَلَىٰ زَكَاةِ النَّفْسِ، وَتَطْهِيرِهَا مِنْ أَوْضَارِ الذُّنُوبِ وَالمعَاصِي وَأَدْرَانِهَا، وَأَنَّ شَقَاءَ الْعَبْدِ، وَخُسْرَانِهِ سَبَبُهُ تَدْنِيسُهُ نَفْسَه بِالشِّرْكِ وَالمعَاصِي.

٤- وَفِي الْآيَاتِ: أَنَّ اللهَ سُبْحَانَهُ قَاهِرٌ لَا يُغْلَبُ، وَلَا يَمْتَنِعُ مِنْ عَذَابِهِ أَحَدٌ، فَعَلَىٰ المَرْءِ بَعْدَ ذَلِكَ أَنْ يُطِيعَ رُسُلَ اللهِ فِيمَا جَاءُوا بِهِ مِنْ عِنْدِ اللهِ، وَأَنْ يَمْتَثِلَ أَوَامِرَ رَبِّهِ؛ لِيَنْجُوَ مِنْ عَذَابِ سَيِّدِهِ وَمَوْلَاهُ.

٥- وَفِي الْآيَاتِ: بَيَانُ أَحْوَالِ بَعْضِ الْأُمَمِ كَأَصْحَابِ مَدْيَنَ، وَقَوْمِ لُوطٍ وَفِرْعَونَ.

(١) «أيسر التفاسير» (٥/ ٥٧٩).

www.menhag-un.com

٦- وَفِيهَا: بَيَانُ سُنَّةِ اللهِ فِي المُكَذِّبِينَ، وَفِي قَصِّ الْقَصَصِ عَلَىٰ النَّبِيِّ ﷺ تَسْلِيَةً لَهُ؛ إِذْ كَذَّبَهُ قَوْمُهُ، وَعَانَدُوهُ.

جامعة منهاج النبوة
www.menhag-un.com